

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

صفحة

مقدمة

إفريقيا تدخل التاريخ الحديث ...

هذه هي الحقيقة المتجسمة التي يرى فيها الأحرار في أركان العالم أملا مشرقاً ونوراً وضاء ... والتي يرى فيها الاستعماريون في العالم الغربي غصة في الحلوق وكابوساً مزعجاً ...

ولكن الحقيقة تزداد كل يوم تجسماً ووضوحاً، والإفريقيون في الشمال والغرب والشرق والجنوب، في الجبال والصحارى والوديان والغابات، يتزاحمون ويتراكضون في سبيل التحرر من الأغلال، والانتظام في ركب البشرية الزاحف إلى عالم جديد فيه أخوة وحرية وسلام.

إن هذا الزحف غذاؤه «الوعي القومي» وهذه المجلة — وهي أول مجلة تصدر في هذا الاتجاه باللغة العربية مع بعض الخلاصات بمختلف اللغات الأوربية المألوفة في إفريقيا — ترمي بما تنشره من أبحاث ومقالات وأخبار وقصص وتراجم إفريقية، للمساهمة في إنماء الوعي الإفريقي ووضع أسس من التفاهم العقلي والشعوري والفني بين الإفريقيين.

وهي إذ تدعو الكتاب والأدباء والباحثين من جميع أنحاء إفريقيا للمساهمة في جهودها المعنوية، لتأمل أن تكون دعوتها مؤثرة فعالة محققة لشعارنا جميعاً:

«إفريقيا للإفريقيين»

صفحة من الصراع فى افريقيا

تيبوتيب

حميد بن محمد بن جمعة المرجبي

(١٨٣٤ - ١٤ يونيه ١٩٠٥)



١ - تمهيد :

لقد كانت السنوات العشر من نهاية القرن التاسع عشر الميلادى نقطة تحول فاصلة فى تاريخ العرب فى شرقى إفريقيا ، وقد جاء العرب إلى هذه المنطقة منذ أزمنة سحيقة ، واتخذوا من هذا الشاطىء محطات لتموين سفنهم ولتخزين سلعهم التى كانت تأتى من داخل القارة ، ومن بينها الرقيق الذى كان من بين السلع التجارية الشائعة فى تلك العصور للعمل فى الجندية وفى القيام على الزراعة والخدمات المنزلية ، واشتد الطلب على هذا النوع من الأيدى العاملة بسبب التوسع الزراعى وبخاصة زراعة النباتات العطرية فى الأقطار المدارية ، واهتم الأوربيون بهذه التجارة للحصول على الأيدى العاملة القليلة التكاليف للقيام على الزراعة فى الأمريكتين وجزر الهند الغربية . وعلى حين كان الرقيق يعامل فى الشرق معاملة إنسانية كان الغربيون يسيمونه سوء العذاب والاستغلال إلى أقصى حد ممكن ولو بإزهاق الأرواح بسبب الأعمال الشاقة وسوء العناية .

وقد كان للشاطىء الإفريقى الشرقى أهميته الاستراتيجية بالنسبة للعرب — وبخاصة لتلك المجموعات التى جاءت من الخليج الفارسى — شيراز ، مَسْقَط ،

عُمان — ومن سواحل الجزيرة العربية الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي — حيث كانت في أيديهم مقاليد التجارة البحرية في المحيط الهندي والبحر الأحمر . وكان لزاماً أن تؤسس المحطات على الشاطىء الإفريقي الشرقي عندما ازداد النشاط التجاري ، وبدأ دخول عناصر جديدة .

ويكوّن الشاطىء الإفريقي الشرقي في الواقع ضلعاً في حوض المحيط الهندي الذي اصطرعت حوله القوى بالقدر الذي كانت تمليه الضرورات الاقتصادية لشعوب المحيط الهندي والشرق الأقصى ، وتطور الصراع بدخول الفرنج في هذه المياه التي احتلت مكاناً في التجارة العالمية لا يقل شأناً عما عليه البحر المتوسط اليوم .

وقد جاءت إلى الشاطىء الشرقي سفن من الصين وأندونسيا والهند لتبادل التجارة ، وترك هؤلاء آثارهم في كثير من مناحي النشاط ، وتمت للعرب السيطرة على طول الساحل من موزنبيق حتى نهايته شمالا بما في ذلك البحر الأحمر . ودخل الصراع في مرحلة جديدة بدخول البرتغال في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، فقد جاءوا إلى هذه المياه في محاولة لكشف طريق بحري للتجارة مع الهند والشرق الأقصى بعد أن تعطلت التجارة مع موانى شرق البحر المتوسط بسقوط الامبراطورية البيزنطية واستيلاء العثمانيين على القسطنطينية وسيطرتهم على موانى ذلك الشاطىء . وأخذ الصراع في التطور متأثراً في ذلك بالكشوف الجغرافية واستخدام البخار والتوسع الزراعي والصناعي والتغيير الذي حدث في المجتمع الأوروبي ، فخرجت البرجوازية التجارية سعياً وراء الكسب والاحتكار .

وكان لظهور القوى الإسلامية الجديدة في يد العثمانيين في شرق البحر المتوسط وامتدادها جنوباً وضم مصر — أن سارعت الدولة الجديدة إلى تزويد الإمارات والمشيخات العربية في الخليج الفارسي وعلى ساحل المحيط الهندي وفي البحر الأحمر وفي شرق إفريقيا — بالبنادق النارية التي كانت معروفة حينذاك والتي كانت تنطلق بالزناد وإشعال الثقاب ، وقد ساعد هذا العنصر الجديد العرب على إجلاء البرتغال عن شرق إفريقيا وبسط سيطرة سلطان عمان على ذلك الجانب ، وقد كان تاريخ البرتغال في هذه المنطقة من أحلك ما سجله التاريخ من

الظلم والاستعباد والاستهتار بالقيم الإنسانية . ولكن سرعان ما جاءت دول أخرى واشتد بينها التنافس الذى كان من نتائجه المرحلة الفاصلة فى تاريخ العرب فى شرق إفريقيا والتى تمثلت فى بطلها المترجم له « تيبو تيب ».

« ٢ »

تتمثل فى حياة تيبو تيب وكفاحه فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى ، صورة واقعية تترجم لنا وسائل الأوروبيين فى بسط سيطرتهم واستضعافهم للشعوب المغلوبة على أمرها ، وبالرغم من أن الغربيين قد كسبوا الجولة الأولى فى الصراع ، وذلك بإجلاء العرب عن منطقة النزاع ، التى تكوّن موضوع البحث ، وتشمل حوض الكُنغُو، الذى اتخذ منه الصراع مسرحاً للتطاحن ، وانه وإن كان العرب والإفريقيون قد تأثروا إلى حد كبير بالغزو الأوروبى ، إلا أن ذلك الغزو وما تبعه من سلطان وسيطرة ، لم يخمد جذوة الكفاح . وآية ذلك ما نجده اليوم من حركات استقلالية مطالبة بالحقوق المغتصبة .

وإذا حاولنا أن نحلل شخصية تيبو تيب لنتبين مدى كفاحه ونصيبه من النجاح والفشل ، نجده قد عمل فى عزلة تامة ، لا يرتبط بما حوله من أقطار عربية ، فالسلاطين والمشايخ كانوا قد احتضنهم الأوروبى وارتبطوا بعجلته فى معاهدات حدت من نشاطهم ، ولم تُبق لهم من النفوذ المدنى إلا قليلا مع بعض السلطان الدينى ليستغل فى الفرص المواتية . كما أننا نجد أن كفاح تيبو تيب يمثل — فى صورة أو أخرى ، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الزمان والمكان — ما حدث فى مناطق أكثر التصاقاً بمنطقته .

ولقد كان لهذه الحركات التى بدأت بما قام به الزبير باشا رحمت فى حوض النيل الأعلى فى السنوات من ١٨٥٦ إلى ١٨٧٥ وكفاح السلطان رابح بن فضل الله (الذى كان أحد قواد الزبير) فى حوض تَشَاد من ١٨٧٧ إلى ١٩٠٠ ، ودعوة الجهاد التى قادها الإمام المهدى وخليفته فى سودان وادى النيل من ١٨٨١ إلى ١٨٩٨ م ، كان لهذه الحركات ، التى قامت لمقاومة النفوذ الأوروبى ، الأثر فى تقرير الخطط التى قام بها الأوروبيون لبسط سيطرتهم ونفوذهم ، وقد ربطوا بين هذه الحركات فى إطار موحد . لذلك نجد لزاماً علينا أن نربط بين هذه الحركات

جميعها وإن اختلفت أزمنتها وأمكنتها ، ونرجو أن يمكننا الربط بين هذه الأحداث من الوصول إلى نتائج تصور لنا ما لها وما عليها .

« ٣ »

يرجع نسب تيبو تيب ، كما أطلق عليه ، إلى قبيلة المرجبية التى جاءت من الجزيرة العربية ، واتخذت موطناً لها فى قرية « مبُومَّاجِى » الواقعة جنوبى دار السلام . واختلط هؤلاء كما اختلط غيرهم من القبائل العربية التى جاءت فى القرن السابع عشر بالوطنيين ، وبخاصة عن طريق الزواج ، الأمر الذى أثر بدوره فى اللغة التى صارت لغة أهل الساحل ، ثم رحل كثير من العرب إلى جزيرة زنجبار التى صارت عاصمة لملك السلطان سعيد .

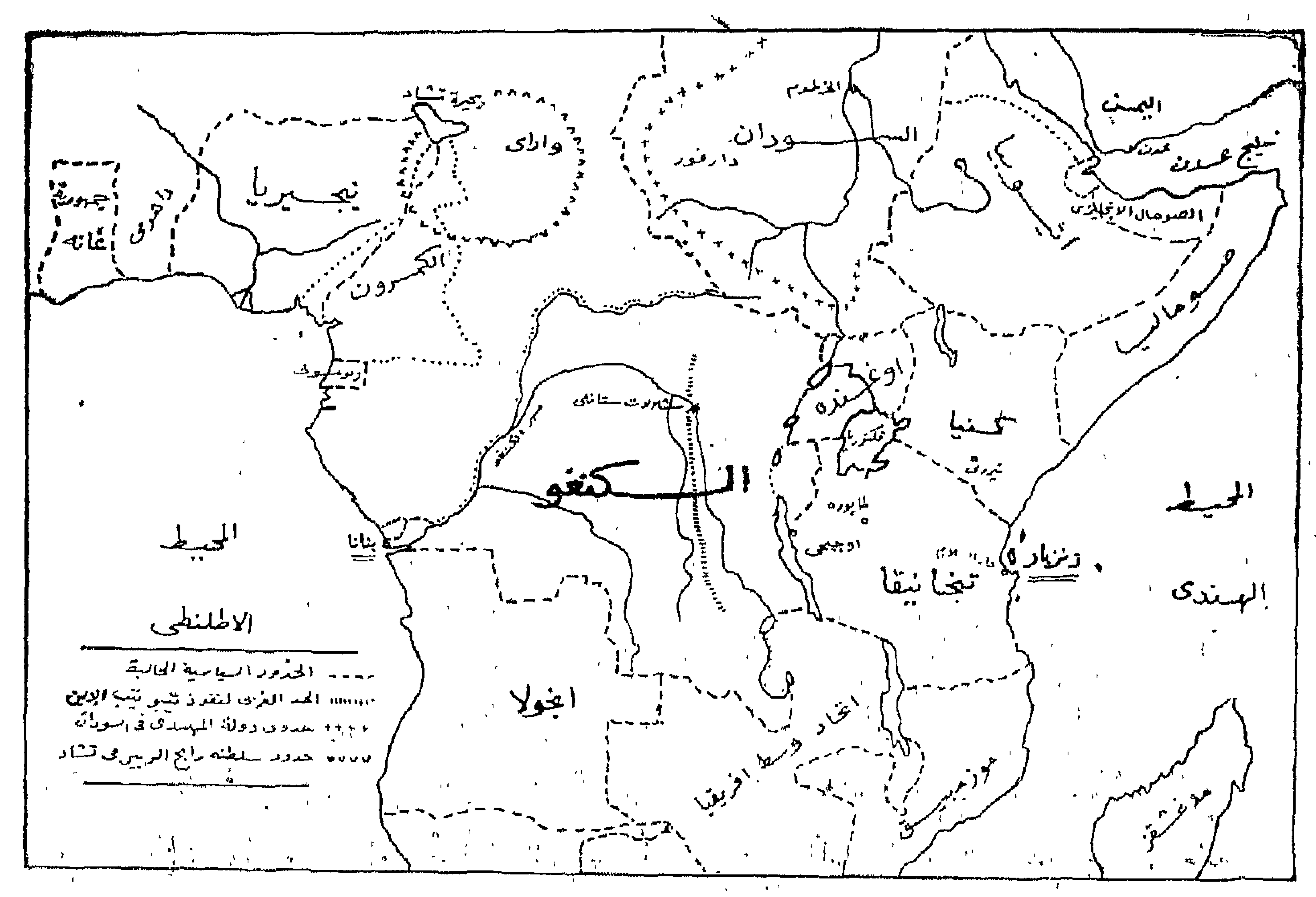
وفى هذه الجزيرة ولد حميد بن محمد ابن جمعه المرجبى فى عام ١٨٣٢ م ، كما أوضح الشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر اللمكى من أهل زنجبار فى رسالته التى ضمنها جورجى زيدان كتابه « مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر » (ص ٢٠٢ . جزء أول) وقام والده ، وهو رجل متوسط الحال ، بتعليم ابنه بعد بلوغه الخامسة من عمره : علمه القراءة والكتابة والقرآن الكريم ، وأقعده الفقر عن مواصلة العلم وكسب الرزق ، وبخاصة بعد سفر والده إلى داخل البلاد للتجارة ، شأنه فى ذلك شأن الباعة المتجولين الذين يتنقلون على ظهر الدواب من مكان إلى مكان لعرض سلعهم وبيعها بالمقايضة فى الغالب ، ولما بلغ الثانية عشرة من العمر اشتد به الضيق فاقترض مبلغاً زهيداً من المال اشترى به ملحاً لبيعه فى الداخل ، وكانت أسفاره ، التى استمرت بضعة شهور ، لا تزيد عن مسيرة ثلاثة أيام من زنجبار ودار السلام ، ثم أخذ فى الاغتراب بعيداً شيئاً فشيئاً ، ووثق به التجار الذين أمدوه بالسلع من الثياب والمأكولات وغير ذلك . ثم وصل إلى علمه أن والده قد وصل إلى بلدة تَبُوزَه وأنه قد صاهر سلطان ذلك البلد ، فشد رحاله للحاق بوالده الذى وصله بعد سفر طويل ، ولقى هنالك ترحاباً من السلطان الذى أهدى إليه بعض العاج ، وقربه إليه ، فزاد ذلك من شأنه . وكان أن اشتبك السلطان صهر والده مع سلطان آخر فى قتال استمر بعض الوقت ، فجمع حميد رجاله ودخل أرض العدو ليلا وأعمل القتل والسلب وجمع السبايا والعاج ، وانتزع السلطان لنفسه وأطاعه أهلها .

وكان لهذه التجارب القاسية أثرها فى توجيه مستقبل حميد الذى عاد إلى مسقط رأسه ومعه ما غنمه ، وبعد أن قام ببيع بضاعته اشترى سلعاً أخرى لبيعها فى الداخل ، من الثياب والخرز والبارود والرصاص بما قدرت قيمته بتسعين ألف ريال (ماريا تريزا) واعترضه فى سفره قطاع الطريق الذين استطاعوا أخذ جزء من بضاعته . وبعد تجربة قاسية وصل إلى مملكته حيث وجد أن سلطانها السابق قد استنجد بسلطان آخر واستطاعا التغلب عليه وقهره ، وانفض من حوله رجاله بعد هزيمته . فعاد إلى أوجيجي حيث اشتغل بالتجارة . ومن ثم عاد إلى زنجبار للاستعداد لمحاربة السلطان المغتصب لمملكته ، وعند وصوله إلى مملكته وجد السلطان قد استعد لملاقاته متحصناً فى بلده ، فحاصره بضعة أشهر ، حفر خلالها قناة حول بها الماء عن البلدة مما اضطر السلطان إلى التسليم إلى حميد دون قيد أو شرط ، فاشتد ساعده ووصلت إليه البضاعة من الساحل بما فيها كمية من البارود استخدمها فى حربه ضد القبائل إلى أن وصل إلى نهر الكنغو ، وأعد عدداً من القوارب ، وأصيب هذه المرة أيضاً بهزيمة منكرة استولى فيها العدو على مراكبه وأمواله ، وبعد هذه الهزيمة بأسبوعين عاد لملاقاة عدوه فى جيش قوامه عشرون ألف رجل قسمه أربعة أقسام ، وأنفذ جيشه فى طرق مختلفة هدفها الأخير « ستانلى فولس » . وكان نتيجة لهذه الخطة المحكمة استرداده للأرض التى فقدها وأخذ أمواله التى سلبت منه وفتح الطريق للتجارة وتأمين شبكة المواصلات البرية مع الساحل ، وصار يرسل تجارته إلى زنجبار لبيعها ، وقد قام تيبو تيب بخدمات جليلة لسبيك وليفنجستون وستانلى وعاونهم فى كشوفهم .

« ٤ »

وبدأ اشتباكه مع الافرنج الذين تسللوا إلى البلاد فى عام ١٨٨٢م عندما تعرض قنصل البلجيك لابنه سيف وطلب منه أن يقدم له كل ما لديه من العاج لدمغه باسم الحكومة البلجيكية ، فرفض وقبض عليه وأرسله إلى قائد الجيش راشد بن محمد الذى حكم عليه بالجلد والحبس عامين ، ولولا وصول حميد فى ذلك الوقت لتطور الموقف بالنسبة للقنصل البلجيكى . وأخذ النزاع بين

البلجيك والعرب ، وعلى رأسهم حميد ابن محمد — فى الاشتداد ، وتدخل قنصل الإنجليز الذى أفهم حميدا بأن البلجيك سيدخلون الكونغو ، ونصحه بعدم معارضتهم ، لأنهم لا يريدون غير الاتجار ، وأنه سوف يسمح له بممارسة تجارته فى حرية ، وعرض عليه أن الحكومة البلجيكية ستدفع له مقابل تجارتها مبلغاً شهرياً قدر بخمسة وستين جنيهاً ، فأبى حميد ، فقال له القنصل : إن انكلترا قد تعهدت بموازرة البلجيك ، وإنه إذا أصر على الرفض فسوف يمنع حميداً من السفر لداخل البلاد . فاضطر إلى قبول العرض وطلب من القنصل البريطانى نقل عبيده من بَاجُمُوبُو إلى زنجبار ، وقد سمح له بذلك رغم التشديد فى حملة منع الرقيق ، وحدثت فى هذه المدة اشتباكات بين العرب فى الكونغو وبين البلجيك كان من نتائجها إخراج الأجانب من الافرنج من البلاد ، وعمل العرب فى التنكيل بالبلجيك قتلا وتشريداً ، مما أزعج الإنكليز الذين طلبوا من حميد التعجيل بالسفر إلى الكونغو عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ولما وصل حميد إلى ستانلى فولس عن طريق نهر الكونغو ، وكان



العرب قد خربوا هذه المحطة حيث كان شريك حميد السيد نازيجي Bwana N'zigi وابن حميد راشد قائد القوات، يمارسان سلطات واسعة ويتدخلان فى شئون المنطقة مما أثار حفيظة الحاكم المحلى البلجيكى.

وهدأت الحال بعد دخول حميد إلى المحطة، وعرض عليه أن يتولى الحكم فى المنطقة (التى كانت سابقاً تكوّن مملكته) باسم حكومة الكونغو الحرة، وصار الحاكم المطلق التصرف، غير أن هذا الوضع لم يتقبله الموظفون من الأوروبيين بدعوى أن حميداً كان تاجراً للرقيق ويخشى أن يفيد من مركزه فى تقوية موقف العرب. وبدأت خطة البلجيك بإرسال قوة صغيرة على رأسها ضابط بلجيكى لاحتلال جزيرة سبق إخلاؤها فى « ستانلى فولس » ولم يهتم حميد بهذا الإجراء وتغاضى عنه لحكمة فى نفسه، وعمل فى نفس الوقت على تقوية مركز العرب واستعداداتهم، وتوجس كل من البلجيكيين والعرب خيفة من نوايا بعضهم البعض، وتدخلت الأساليب والدسائس الخفية لبث التفرقة والتخاصم بين أتباع حميد من القبائل الإفريقية، وعندما تهيأت الفرصة اشتبكت قوات الكونغو الحرة مع قوات حميد وعلى رأسها ابنه سيف الذى قتل وهرب ثابت أخوه، وشتتت قوته، واستولى البلجيك على أموال حميد التى قدرت بمائة ألف جنيه، اختلس منها مبلغاً كبيراً بعض وكلائه فى زنجبار وبقيت له بعض الضياع والمساكن التى اشتراها فى بلدة زنجبار، وقد عاونته مواردها على العيش إلى أن انتقل إلى رحمة مولاه فى الرابع عشر من يونية ١٩٠٥ م، واشترك فى تشييع جثمانه علية القوم والقناصل. وهكذا انتهت حياة حافلة بالكفاح والجهاد.

« ٥ »

لقد كان للعرب، كما سبق أن أوضحنا، السيطرة المطلقة على المنطقة الداخلية من الساحل الإفريقى الشرقى إلى حوض نهر الكونغو الأعلى؛ وقد أقام العرب محطات تجارية، وفتحوا طرقاً للتجارة والقوافل، وبقى الحال على هذا المنوال لعدة قرون سبقت بداءة — الزحف الأوروبى فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر، وقد مهدت لهذا الزحف عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات التى قام بها الرحالة

الافرنج فى النيف والثلاثين عاماً الأولى من النصف الثانى من القرن الماضى ؛ وقد أسهم العرب بتزويد هؤلاء الرحالة بالمعلومات والمساعدات التى يسرت لهم الوصول إلى نتائج كشفية ؛ وقد كان من نصيب تيبوتيب فى الحياة أن يعاصر هذه الموجات من الرحلات التى قام بها أوروبيون من مختلف الجنسيات ، كما كان له نصيب فى أن يدخل طرفاً فى الصراع الدولى ، وتأثر موقفه كثيراً بالحركات القومية التى قامت فى سودان وادى النيل وفى تشاد ، وهذا مما جعل الأوروبين يستنفدون جهودهم للقضاء على السيطرة العربية خشية قيام امبراطورية إسلامية فى قلب القارة ؛ وقد ورد اسم حميد فى يوميات لفنجستون عند مقابلتهما فى ٢٩ من يولية سنة ١٨٦٧ م وجاء من بعده استانلى الذى جاء إلى زنجبار فى ٦ من يناير سنة ١٨٧١م للبحث عن لفنجستون وعاد إلى أوروبا بعد العثور عليه ، ولما علم استانلى بوفاة لفنجستون ووصول جثمانه إلى انجلترا فى ١٨٧٤ م قرر العودة إلى إفريقيا فى نفس السنة ليتابع ما قام به لفنجستون ، وعاد إلى أوروبا فى نهاية عام ١٨٧٧ ، وقد تم فى ذلك الحين إنشاء « الجمعية الدولية للكشف فى إفريقيا » فى بروكسل تحت رعاية الملك ليوبولد ، وكلفت الجمعية استانلى بالعودة إلى الكونغو لما له من خبرة بشئون هذا الحوض ، وطلب إليه إنشاء سلسلة من المحطات التجارية ، والحصول على معاهدات من الزعماء المحليين . وكان لهذه المعاهدات التى حصل عليها استانلى أثر فى حصول ليوبولد على اعتراف من المؤتمر الدولى الذى عقد فى برلين سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ بحقه فى الكونغو .

وكان تيبوتيب يتوجس خيفة من نشاط استانلى وغيره من الأوروبيين لما سيكون لهذا النشاط من نتائج امتداد السيطرة الأوروبية وتحويل التجارة من الشاطىء الشرقى إلى الجانب الغربى ؛ وقد بذل أولئك الرحالة جهودهم لإقناع العرب بأن دخولهم للبلاد سوف لا يغير من الأوضاع التجارية ، وما كان ذلك إلا خداعاً وكسباً للوقت حتى تثبت أقدامهم على الأرض عن طريق المعاهدات التى عقدوها مع الزعماء وعن طريق القوات العسكرية التى أعدوها ، وعن طريق وسائل المواصلات التى أقاموها والتى ربطت بين المحطات على طول نهر الكونغو .

وبعد انتهاء مرحلة بناء هذه القاعدة — محطات ومواصلات وقوات، واعتراف مؤتمر برلين — دخل الصراع بين العرب والأفرنج فى مرحلته الثانية . فقد عقدت فى عام ١٨٨٤ اتفاقية بين العرب والبلجيك التزم فيها العرب بعدم الدخول فى الكونغو (من ناحية الغرب) غربى الشلال السابع من مساقط استانلى (استانلى فولس) كما تعهدوا بألا يدخلوا أراضى الكونغو الحرة للغزو أو التجارة أو صيد الرقيق أو الحصول على العاج ؛ وقد حافظ العرب على السلام . وكان الموقعون على هذه المعاهدة من العرب أحد أبناء تيبوتيب وكاريما كايوميا ، ووقع عليها أيضاً زعماء القبائل التى تسكن حول المنطقة كطرف ثان ، واعترف هؤلاء الزعماء بوضع بلدانهم تحت حماية الكونغو الحرة — وهذه نقطة مهمة بالنسبة للبلجيك ، وكان ذلك الاتفاق قد تم فى غيبة تيبوتيب الذى نقضها ، ولم يعترف بها عند عودته ، وأخطر المندوب البلجيكى الضابط وستر أنه موفد من قبل السلطان سعيد ابن برغش سلطان زنجبار لمنع العرب من التصرف فى العاج الموجود فى حيازتهم وأنه سيعمل على أن تكون التجارة عن طريق زنجبار لا عن طريق الغرب ؛ وأخذ كل فريق فى الاستعداد للقتال .

ومن المؤسف أن السلطان سعيد قد تخلى عن مساعدة تيبوتيب ، وحاول البلجيك بوساطة استانلى تعيين تيبوتيب حاكماً مطلقاً كما أشرنا من قبل ، ولكن ذلك لم يؤخر النتيجة الحاسمة وهى العمل من جانب البلجيك على الخلاص من العرب ، وبخاصة أنهم كانوا يخشون اتصال الحركة العربية فى منطقة حوض الكونغو بحركة المهدى فى السودان ، وخشيت انجلترا من امتداد نفوذ تيبوتيب إلى منطقة النيل الأعلى . فكانت مسألة إخراج أمين باشا من خط الاستواء بوصفه موظفاً مصرياً ، موضع صراع بين الألمان والانجليز . فجاء استانلى لإنقاذ أمين باشا على رأس حملة الانقاذ ، وكان وراء هذه الحملة ليوبولد الثانى ملك البلجيك وصاحب الكونغو الحرة ، ووليم مكينون مدير الشركة البريطانية الامبراطورية لشرق إفريقيا . وقد جمع استانلى لهذه الرحلة مبلغ ١١٫٥٠٠ جنيهاً وحصل من مصر على ١٠٫٠٠٠ جنيه أى مبلغ ٢١٫٥٠٠ جنيه ، وحصلت الحملة على خطابات من مصر لأمين باشا

لإخلاء المديرية المصرية ، وكانت لجنة الإنقاذ ورجالها الثلاث الفرسان ليوبولد ومكينون واستانلى ينظرون إلى مغنم كبير يعوض لهم المبالغ التى صرفوها ، حيث وصل إلى علمهم أنه لدى أمين باشا حوالى خمسة وسبعين طناً من العاج فى محطة وادلاى ، قدر ثمنها بحوالى ستين ألفاً من الجنيهات ، وعقد استانلى اتفاقاً مع حميد لتزويده بالحمالين اللازمين لنقل هذه الغنيمة ، وتباطأ استانلى فى تنفيذ الشروط إلى أن يتأكد من وجود العاج فعلا فى وادلاى ، واتهم استانلى تيبوتيب بمخالفته للتعهد ، وأقام ضده قضية فى زنجبار ، واضطر مكينون وزملاؤه إلى اتخاذ قرار لسحب القضية التى رفعها استانلى .

وكان من الجانب الألمانى فى الصراع حول مديرية خط الاستواء المصرية الدكتور كارل بيترز الذى كوّن ، مع بعض مواطنيه ، جمعية فى ألمانيا لإنقاذ أمين باشا الألمانى (جورج شتيرز) ونشر بياناً فى الصحف الألمانية أشار فيه إلى الخطر الذى سوف يحيق بأمين باشا الألمانى وما سوف يصيب المدينة إذا وصلت أيدى المهدية إلى هذه المنطقة ، وانتهى الصراع والتسابق بنجاح الشركة الامبراطورية لشرق إفريقيا فى بسط سلطانها على المنطقة التى انتقلت فيما بعد للحكومة البريطانية .

«٦»

ويبدو أن هذه الصفحة من تاريخ العرب فى شرق إفريقيا يرجع الفضل فى وصولها إلى علمنا إلى ما كتبه الرحالة الافرنج ، ولولا ذلك لطويت هذه الصفحة فى زوايا النسيان ، وآية ذلك أن ما لدينا من معلومات عن القرون السابقة لا تمكننا من التعرف على حقيقة مجرى الحوادث فى تلك المناطق . وحتى تتجمع لدينا معلومات ووثائق أوضح فانه سوف لا يكون من اليسير القيام بدراسة تحليلية لمختلف نواحى النشاط لتحديد أسباب الفشل الذى أصاب العرب بالرغم من الامكانيات الضخمة التى كانت فى أيديهم . فما هى الأسباب التى جعلت العرب لا يهتمون إلا بالتجارة والقيام بدور الوسيط فيها ؟ ولماذا لم يقيموا حكومة منظمة لإدارة المناطق التى بسطوا سيطرتهم عليها وأقاموا فيها المحطات التجارية وشقوا طرق مواصلاتهم بينها ؟ وهل كان هناك أثر للوضع الذى جعل من الزعماء القائمين على التجارة أفراداً يعملون لحسابهم الخاص ولم تكن هنالك

طبقة فى الصف الثانى ؟ ومن الضرورى أيضاً التعرف على العلاقات التى قامت بين العرب وأهل المناطق المحلية ومن استخدم من أبنائها فى النقل الخ الخ ، ولماذا لم تكن هنالك روابط أو تجاوب أو هدف موحد يجمع بين الحركات القومية التى قامت فى حوض النيل الأعلى . وفى حوض تشاد ؟ كل هذه تتطلب دراسة تحليلية واسعة للوصول إلى نتائج علمية تمكن من بناء سياسة ثابتة الدعائم . ولا ننسى أن الأوروبيين قد احتاطوا لأنفسهم من قيام حركات قومية موحدة حتى فى أضيق حدودها فى داخل المنطقة الصغيرة ، وذلك بحصولهم على معاهدات مع الزعماء المحليين على الشاطىء الإفريقى الشرقى ، الأمر الذى جعل من المستحيل على هؤلاء الزعماء العمل فى غير ما يوجهون إليه من أصحاب السيطرة الأوروبيين ، وعلى الأخص السلطان سعيد بن برغش الذى ارتبط مع انجلترا فى معاهدات ، وبذلك كشف ظهر تيبوتيب ، ولولا ذلك لكان للتاريخ العربى فى قلب إفريقيا مجرى آخر غير ما حدث .

وهنالك أوجه تشابه كثيرة بين تيبوتيب وبين الزبير رحمت باشا مع النظر بعين الاعتبار إلى اختلاف الزمان والمكان ، وقد كان الأوروبى فى كلا الأمرين فى مركز الموجه من خلف الستار .

من أهم مراجع البحث

١ ــ الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل القاهرة ١٩٥٥ .

٢ ــ جورجى زيدان : مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر القاهرة .

Waller Horace, The Last Journals of David Livingstone, 2 vol. London, 1874.

Stanley, Henry M., Through the Dark Continent, 2 vol., London 1878.

Stanley, Henry M., The Congo and the Founding of its Free State. 2 vol. London, 1815.

Werner, J.R., A Visit to Stanley's Rear-Guard, London, 1889.

Barttelot, W. G., The Life of Edmund Musgrave Barttelot, 3rd. Ed. London,1871.

Jameson, I.S., Story of the Rear Column, London 1891.

Hinde, S.L., The Fall of the Congo Arabs, London, 1897.

Wuganda Journals and Tanganyika Notes, and Records.

TIPPU-TIB.

HAMID BEN MOHAMMED BEN JUMAA AL-MURJABI.

(1834 — 14th. JUNE 1905)

The vast stretches of country, extending from the East Africa coast to the upper reaches of the River Congo, were the inevitable lebensraum for the Arabs wherein to exercise their trading activities, after they had gained, since remote decades, footholdings on the eastern coast as supply depots at which to receive the sea faring traffic from India and the Far East, and exported the local products of Africa, inclnding slaves.

The demand for slaves had increased considerably to provide cheap man-power for the then newly discovered vast fertile territories in the Americas, and this demand had caused the establishment of European hunting stations on the west coast of Africa: hunting slaves for exportation to the new world. It is worth mentioning that there was a distinct difference in the manner of handling slaves byboth Europeans and Arabs; the former were so inhuman in all respects, while the latter treated the slaves humanly without prejudice.

With the fall of Constantinople and the rise of the Ottoman Power in the Eastern Mediterranean hinterland the trade with the ports of the Eastern Coast was, more or less, brought to a standstill; the discovery of the route round the Cape of Good Hope had given an alternative access to the Far Eastern trade centers. This discovery had caused transmutation of the commercial activities to the Indian Ocean with the establishment of bases on the East Coast of Africa, with the consequent conflict between the Arabs and Europeans for supremacy, and the Ottomans with their fleet plying in the waters of the Arabian shores (in the Red Sea and Indian Ocean) had taken part in the struggle, mainly against the Portuguese, and they had provided the Arabs with matchlocks which helped gaining victory over the Portuguese.

With further development in economic conditions in Europe and its reflection on society, and the use of steam-power in industry and

transport, a need for raw materials and free markets was created. Hence attention was diverted to Africa.

The Europeans began their penetration into the heart of Africa gradually, collecting information. Those were the adventurers, ex plorers, missionaries and others who participated in slave trade and formed the initial consuls who made treaties with the local rulers; and this stage was followed by the scramble for the acquisition of land. This scramble for African territories was regulated at the Berlin Congress of 1884-5. The conflict took a furious shape between the foreign powers and the Arabs, who were well established and organised in Central Africa; the victim was Tippu-Tib. Tippu-Tib was at his zenith in the last decade of the nineteenth century, when the European powers came face to face with him in the upper reaches of Congo. The Belgians and the British combined forces to check the Arabs of Tippu-Tib, stimulated to doing so by their fear of a possible fusion of African movements i.e., those of Zubeir in Darfur, the Mahdi in the Sudan and Rabeh in Chad region.

It is mostly desired that collaboration between historians and anthropologists is needed for the reconstruction of Africa History specially for the part played by the Arabs.

C.B.A.